آفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية

تصدر عن دائرة البحث
العلمي والدراسات
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث

السنة السادسة ، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون - جمادى الثانية ١٤١٩ هـ - أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٨م

مخطوط الكواكب الدرية وتخميساتها - ٨٥٧ هـ

MANUSCRIPT " AL KAWAKIB AL DURRYA WA TAKHMISATIHA" 857 (A-H)

اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس

الأستاذ الدكتور
عبد الهادي التازي
الرباط - المغرب

إلى جانب حرصهم على أن يظلوا حاضرين على الصعيد الدولي ، سواء في الميدان العسكري برًا وبحرًا ، أو في الميدان القانوني عندما كانوا يواكبون ، بل يزاحمون ، الاجتهادات ذات الصلة بقضايا السلام بين الدول الأوربية في منطقة البحر المتوسط ، أو في الميدان الفكري والإبداع ، أو على صعيد عالم الإسلام ، عندما كانوا يمدون أيديهم إلى القادة في المشرق من أجل مجتمعٍ قويٍ متكامل متواصل...

إلى جانب كل ذلك وجدنا بني مرين يولون اهتمامهم لتأثيث البلاد بطائفة من المنشآت والمؤسسات الحضارية ، التي ظلت معظمها - لحسن الحظ - قائمًا إلى الآن شاهدا بما كانوا يطمحون للوصول إليه في الأمد البعيد.

وسوف لا أتحدث هنا عن رجالِ دولتهم كلهم، وعمّا تركه سلاطينهم جميعًا من الآثار، ولكني سأقصر هذا الحديث على مَلِكٍ واحد من أولئك، هو السلطان أبو عنان، الذي لم يتجاوز حكمه للمغرب أكثر من تسعة أعوام وتسعة أشهر على ما يذكره ابن الأحمر(١)، وسأقتصر في النهاية على منشأة واحدة من جميع تلك المنشآت من التي شهدتها عاصمتهم مدينة فاس، وأعني بها الزاوية المتوكلية المنعوتة بالعظمى، التي كانت تقع بظاهر المدينة.

لقد خَلَفَ السلطان أبو عنان والده في ظروفٍ أقر المهتمون بتاريخ المغرب الكبير قلقها واضطرابها وتلاحق أحداثها، فلقد كان والده أبو

الحسن في مهمته بتونس، يحاول استرجاع الوحدة بين أقطار المغارب الثلاثة؛ الأقصى والأوسط والأدنى. وهناك شاعت وفاته حيث رأينا ولده أبا عنان وخليفته بتلمسان يعلن نفسه سلطانًا على البلاد... ولسنا هنا بصدد التحقيق في أمر «تنازل» الوالد لولده اختيارًا أو اضطرارًا، فذلك أمرٌ يهم المشتغلين بالقضية الأزلية المتمثلة في التنافس على السلطة، ولكن الذي يهمنا أن السلطان أبا عنان استقر على كرسي الحكم بصفةٍ نهائية عام ٧٥٢هـ = ١٣٥١م بعد أن شيّع جنازة والده من مدينة مراكش إلى مقبرة شالة بضاحية مدينة الرباط، حيث كان ابن بطوطة ضمن الركب الملكي...

فماذا عن المنشآت المعمارية للسلطان أبي عنان في مختلف جهات المغرب الكبير، وبخاصة المنشآت بالمغرب الأقصى، وبصفةٍ أخصّ في مدينة فاس، التي كان أبو عنان يفضل المقام فيها على سائر قواعد المغرب.

في جولةٍ سريعة عبر المؤلفات التي بين أيدينا، والتي اهتمت بالسلطان أبي عنان، نرى أن هذا الملك العظيم يقوم بإنشاء عددٍ من المستشفيات وبتعيين الأطباء لمعالجة المرضى(٣)، وبعددٍ من المدارس والزوايا على نحو ما نقرؤه عند ابن جزي (ت ٧٥٧هـ) في «تهذيبه»: «أمر السلطان أبو عنان بعمارة الزوايا في جميع بلاده؛ لإطعام الطعام للوارد والصادر، وقد جعل التصدق على المساكين بالطعام يوميًا...»، وعلى نحو ما ورد في أرجوزة «رقم الحلل في تاريخ الدول» للسان الدين ابن الخطيب، المتوفى سنة ٧٧٦هـ عندما قال:

وخـلُـصَ الأمـرُ لـكـفّ فـارس
بـاني الـزوايـا الكُثر والمدارس

وإذا كان معنى المدرسة واضحًا بالنسبة إلينا، فإن الزاوية تعني في اصطلاح بني مرين مؤسساتٍ ومراكز اجتماعية معدّة لإرفاق الواردين على نحو ما نقلنا عن ابن جزي.

لقد كان من تلك الزوايا زاوية في سبتة، قال عنها الأنصاري في اختصار الأخبار: إنها الزاوية الكبرى خارج باب فاس من سبتة، وأعدها لمن اضطر للمبيت بها من التجار وغيرهم... ملوكية البناء، كثيرة الزخرفة، متعددة المساكن... وصومعتها من أبدع الصوامع... وكان منها في سلا زاوية النسّاك، التي توجد خارج باب فاس من سلا، والتي وصفها ابن الخطيب «بالبستان». وقد نقش على بابها الغربي «أمر بهذه الزاوية... أبو عنان... فرغ من بنائها عام سبعة وخمسين وسبعمائة»، كما كان مما نقش على الباب: «سارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم»(٣).

ولكن حديثنا هذا سيتركز على زاويةٍ واحدة من تلك الزوايا، **هي المتوكلية**(٤)، التي وقع التنويه بعمارتها أول الأمر عام ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م في رحلة ابن بطوطة، عندما قال عنها في السفر الأول: «لا نظير لها في المعمور في إتقان الوضع، وحسن البناء، والنقش في الجصّ، حيث لا يقدر أهل المشرق على مثله»، ثم عندما نعتها في السفر الأخير بالعظمى، وقال: «إنها تقع خارج فاس، وأبدع زاوية رأيتها في المشرق زاوية سرياقص التي بناها الملك الناصر، وهذه أبدع منها وأشدّ إحكامًا وإتقانًا»(٥).

ولا بدّ من أن نضيف إلى نثر ابن بطوطة نظمًا قاله زميله وناسخ رحلته ابن جزي، وأورده المقري في (نفح الطيب) وفي (أزهار الرياض):

هـي ملـجـأ لـلـواردين ومـورد
لابـن السبـيـل وكلّ ركبٍ ساري

دارٌ على الإحسان شيدت والتقَى
فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي آثار مولانا الخليفة فارس
أكـرم بـهـا في المجد مـن آثـار
لا زال مـنصـور الـلـواء مـظفرًا
مـاضـي الـعزائم سـامـي المقدار
بُنيت على يد عبدهم وخديم با
بـهـم الـعَلِـيّ محمـد بـن جـدار
في عام أربعةٍ وخمسين انقضت
من بعد سبع مئين في الأعصار

وإذ أخصص الحديث عن هذه الزاوية؛ فلأنها خَفِيت على معظم المؤرخين المغاربة، ولأنها التبست التباسًا مطبِقًا على سائر المستشرقين في تعليقاتهم على ترجمتهم لرحلة ابن بطوطة، التبست عليهم الزاوية المتوكلية التي توجد خارج فاس بالمدرسة العنانية، التي تقع داخل مدينة فاس، وقد بنيتا معًا في التاريخ نفسه تقريبًا(٥)...

فكل هؤلاء الناشرين ابتداءً من الفرنسيين الأوَّلَيْن: ديفريميري Defremery وسانكينيتي Sanguinetti اللذين قاما بترجمة رحلة ابن بطوطة عام ١٨٥٣ – ١٨٥٩ إلى هاميلتون كيب Gibb، إلى من اقتفى أثر هؤلاء مشرقًا ومغربًا، كلهم حسبوا أن الزاوية المتوكلية العظمى يقصد بها المدرسة البوعنانية، التي ينعتها ابن بطوطة بالمدرسة الكبرى، وقد كان مما زاد في تضليل الناس اختفاء آثار هذه الزاوية، موضوع الحديث، اختفاءً منذ زمنٍ لم نستطع تحديده إلا حدسًا وتخمينًا...

لقد عرفت فاس في الفترة الأخيرة لعصر بني مرين أيامًا حزينةً، أثارت انتباه معظم المؤرخين، الذين تناولوا تاريخ دولة بني مرين خاصةً عهد السلطان أبي سعيد (٨٠٠ – ٨١٧هـ = ١٣٩٨ – ١٤١٤م)، هذا العهد الذي كان بمنزلة الريح السموم حيث أتى على المعالم الحضارية والثقافية لبني مرين، خاصةً المعالم التي أقيمت في إقليم فاس. وهكذا عصفت الفتن الطاحنة التي سببت الخراب والدمار لمملكة فاس.

وقد أشار الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، في عددٍ من مقاطع كتابه (وصف إفريقيا)، إلى آثار هذه الفترة. وإذا ما عرفنا أنه كان يعاصر هذه المرحلة تقريبًا، عرفنا إذًا مدى أهمية إفادته، التي كانت تعزو ذلك لتدخل مملكة غرناطة في الشؤون الداخلية لمملكة المغرب. لقد قال – وهو يتحدث عما كان أنشأه السلطان أبو الحسن من معالم حضارية:

«وفي أيام الملك أبي سعيد حدث أن كان أحد أعمامه، ويسمى السعيد، أسيرًا عند ملك غرناطة، وقد توسل السعيد هذا إلى السلطان أبي سعيد بأن يستجيب لطلبٍ تقدم به ملك غرناطة (عدم الانصياع إلى أهل جبل طارق في أن ينضموا للإيالة المغربية)، ولما رفض أبو سعيد هذا الطلب، عمل ملك غرناطة على تحريك العم السعيد على رأس قواتٍ كبيرة بنفقاتٍ حربية باهظة؛ ليحارب ملك فاس، ويقضي عليه، وهكذا حاصر السعيدُ العاصمةَ فاس بمساعدة بعض الأعراب، ودام الحصار سبعة أعوامٍ، تمّ في أثنائها تخريب المنشآت...»

وفي معرض حديث الحسن الوزان أيضًا عن بعض المؤسسات الحضارية الموجودة بمدينة فاس خاصةً التي توجد خارج أبواب المدينة، قال:

«وكانت هذه المؤسسات غنيةً جدا إلا أنه في أيام حرب السعيد، عندما كان السلطان في أشدّ الحاجة إلى المال، أشاروا عليه ببيع إيراداتها وأملاكها، ولما رفض السكان تفويتَها، تقدم أحد وكلاء الملك، وأفتاه بأن هذه المؤسسات إنما أسست بفضل الصدقات التي قدمها أسلاف الملك الحالي، الذي يوشك أن يفقد مملكته، فيستحسن – والحالة

اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس

هذه – بيع تلك الأملاك؛ لصدّ العدو المشترك، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها سهل شراؤها من جديد، وهكذا بيعت تلك الأملاك، وتوفي الملك قبل أن يحصل شراء أي عقار من تلك العقارات المفوَّتة، وبقيت تلك المؤسسات فقيرةً محرومة تقريبًا من وسائل العمل»(٧)...

هذا، وبالنظر لمعلومةٍ وقفنا عليها في كتاب (أزهار الرياض) تأليف المقَّري التلمساني سالف الذكر، الذي نعلم أنه تردَّد على مدينة فاس عدة مراتٍ قبل أن يستقر فيها نحوًا من خمسة عشر عامًا إلى أن غادرها إلى المشرق أواخر رمضان ٧١٠٢هـ = سبتمبر ١٦١٨م، هذا المصدر الجليل أورد نظمًا مما قاله أبو عبدالله ابن جزي على ما أسلفنا في الزاوية المتوكلية موضوع الحديث، مُصَدّرًا هذا النظم بكلمةٍ جدّ هامة بالنسبة إلينا حيث قال: «وهو؛ أي النظم مكتوبٌ عليها إلى قرب هذا التاريخ»(٨). ليت المقري أفصح لنا عن «هذا التاريخ» بالضبط!

وإن هذا «التاريخ» الذي يشير إليه المقري ربما كان هو التاريخ الذي يصادف أيام الصراع المرير بين أبناء السلطان أحمد المنصور الذهبي، ذلك الصراع الذي عرفت فيه فاس على الخصوص المزيد من القلاقل، والمزيد من الإهمال لمنشآتها الحضارية، التي نذكر في صدرها الزاوية المتوكلية، فهل كان المقّري يتحدث عن البقية الباقية من رسومٍ كانت لا تزال على بعض واجهاتِ الزاوية؟!

مهما يكن فإنه بعد الحروب التي عرفتها العاصمة أيام أبي سعيد، وبعد القلاقل التي عاشتها العاصمة أيضًا في أعقاب وفاة المنصور، يبقى أمامنا أن نرجع إلى سببٍ آخر ثالث، يمكن أن يكون وراء اختفاء هذه المعلمة الكبرى من خريطة فاس، ذلك هو زلزالُ لشبونة ١ نوفمبر ١٧٥٥هـ = ٢٦ محرم ١١٦٩م الذي يجوز، بل يحق، للمغاربة أن يسموه أيضًا زلزال المغرب، ولا سيّما بعد أن ظهرت اليوم الشهادات والمذكرات التي كتبها بعض الذين عاشوا ظروف هذا الزلزال، خاصةً بمدينة فاس، وفي صدر هذه المذكرات ما كتبه الأسير السويدي ماركوس بيرك Marcus Berg عام ١٧٥٥م، إضافة إلى الممثلين التجاريين والقناصلة الأجانب، الذين كانوا يقيمون ببعض المدن المغربية كمكناس وسلا والرباط، وإضافةً إلى ما أشارت إليه المصادر المغربية إشاراتٍ خفيفةً بل قاصرة(٩).

أريد القولَ إن الفترات العصيبة التي مرت بها فاس، خاصةً الزلزال الذي ضرب المدينة، حيث أتى على البقية الباقية من الزاوية المتوكلية. وقد حاولت بعد هذا أن أجد للزاوية ذكرًا أو أثرًا في مختلف المظان غير ما قاله الرحالة ابن بطوطة نثرًا، وزميله ابن جزي نظمًا.

وقد كان المصدر الوحيد الذي تحدث عن الزاوية بإسهابٍ في فترة بني مرين هو – لحسن الحظ – ابن الحاج النميري المتوفى بعد عام ٧٧٤هـ = ١٣٧٣م في كتابه (فيض العباب)، الذي سنورد نصه كاملا، ومصححًا، ومعرفًا بأسمائه الجغرافية، وأعلامه الإنسانية، وذلك عن المخطوطة الفريدة التي توجد لهذا الكتاب في الخزانة الحسنية بالرباط(١٠). فماذا كان عن الزاوية المتوكلية في فيض العباب؟

يذكر ابن الحاج أن أعمال البناء في الزاوية المتوكلية انتهت على إثر عودة السلطان من حركته الجميلة الآثار، وكان ابن الحاج يقصد دون شكَ حركة السلطان أبي عنان الداخلية؛ أي التي قام بها للرباط وسلا في النصف الثاني من عام ٧٥٧هـ = ١٣٥٦م(١١). وهنا نعت ابن الحاج الزاوية بأنها:

– «شيدت على شاطىء الوادي...

– وأنه قام بقبليها جامع جامع...

– وتقابلها بالجوف قبة صعدت في الجو.

- تدور بها أربعة براطيل بديعة الاختراع.
- وقد امتد من الجامع إلى القبة صهريج بديع الطول والعرض...
- وبشاطىء هذا الصهريج أسدان صُنعا من الصفر، يخرج الماء من فوهيهما.
- وفي كل ركنٍ من أركانها بابٌ يشرع إلى دار بديعة البناء...
- الباب الذي بالجوف يشرع إلى دار الوضوء.
- الديار الثلاث إحداها للإمام، والثانية للمؤذن، والثالثة للناظر...
- يتصل بالزاوية دارٌ معدّة للنازلين الواردين...
- تقابلها دارٌ أخرى معدّة للطبخ...
- للزاوية والدارين المتصلتين بها بابٌ عظيم من جهة الشرق، ناظر إلى الحضرة العلية...
- بمقربة من هذا الباب توجد الصومعة التي تزاحم الكواكب...
- يتصل بالزاوية من جهة الغرب والجوف روضٌ أريض...
- وبغربي الزاوية صهريجٌ عميق للماء، في جنباته لعبٌ وتصفيق.
- قامت بإزاء الزاوية سانية بديعة... تزود الفقراء بمائها...
- عُملت على النهر ناعورة؛ لأن السانية قد لا تبالغ في العطية...

كانت هذه الناعورة سامية حازت أعظم البهاء، وفية ضمنت للروض نجاز الوعود، دولابها معظّم عند بني مرين... إذا ذكر له (رأس الماء) أحب دورانها في الرأس... أنشدت مخاطبةً نواعير المصارة(١٢): وما شرب العشاق إلا بقنتي!

وبعد هذه الإشارات عن الزاوية المتوكلية يذكر ابن الحاج أن السلطان أمرَ بكتب ظهيرٍ (مرسوم) يعين فيه أبو عنان جرايات القائمين بالوظائف... ويرتب جملةً من الفقراء الصوفية ليقيموا هناك للذكر... موضحين للضيوف(١٣) الواردين سبلَ الائتلاف... وكذلك تعينت الجرايات للخدم المتزوجات: ليقوموا بتنظيف تلك الديار، وخدمةِ الزوار، وعمل الأطعمة العميمة الإيثار...

ويفيد ابن الحاج أنه هو الذي كتب بخطه تلك الظهائر والمراسم. وبعد أن يقدم لنا ابن الحاج نموذجًا من الشيوخ الواردين والصلحاء القاصدين للزاوية من الذين قام هو بزيارتهم أواخر عام ثمانية وخمسين وسبعمائة من غير أن يستطيع تعرفه أو تعرف شيخه الذي سلك على يديه، يذكر أن هذا الشيخ تشوف لرؤية أمير المؤمنين الذي استدعاه وآنسه(١٤).

ومن المهم أن نعرف - عن طريق ابن الحاج - أن المقدم الذي أسندت إليه مشيخة الزاوية المتوكلية وإمامة جامعها كان السفير المغربي، الذي نقل إلى الديار الشرقية المصحف العظيم، الذي أهداه السلطان أبو الحسن والد أبي عنان إلى بيت المقدس بعد أن أتمه بمدينة فاس عام خمسة وأربعين وسبعمائة...

هذا المصحف الذي كان من أروع المصاحف التي يحتضنها اليوم المتحف الإسلامي للمسجد الأقصى، وقد وقفت عليه يوم الأربعاء ثاني سبتمبر ١٩٥٩هـ = ٢٨ صفر ١٣٩٧م، وكانت جميع أجزائه الثلاثين مكتوبةً على رقّ الغزال وبخطّ العاهل المغربي الذي - على الرغم من مشاغله ومتاعبه - استطاع أن يكون حاضر البال؛ ليكتب بيده زهاء ثمانين ألف كلمة مما اشتمل عليه القرآن الكريم، الأمر الذي يفسر مدى تعلّق المغاربة بالقدس الشريف(١٥).

ويذكر ابن الحاج أن الشيخ أبا عبدالله ابن أبي

مدين لمّا عيّن في منصب مقدم الزاوية رأى أن يشهر أمرها في الآفاق، فاستدعى أهلَ فاس إلى الحضور بجامع القرويين الذي غصّ بالمستجيبين للدعوة فجر يومٍ من أيام الله، حيث برز الشيخ العلامة المفتي أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي، الذي خلف صدى كبيرًا في كتب التاريخ المغربي، والذي كان السلطان أبو عنان قدّمه للإمامة بجامع القرويين سنة خمسين وسبعمائة، فقام بإلقاء خطابٍ أفصحَ فيه بالثناء على أمير المؤمنين بحضور شيوخ الزوايا الأخرى(١٦).

ولما طلع حاجب الشمس خرج الحاضرون في موكبٍ عظيم يضم صدور الشرفاء وأعلام الفقهاء رافعين أصواتهم بالأذكار والدعاء...

ولم يفت ابن الحاج أن يسجل حضور ربات الحجال، المحميات ببيض النصال على حدّ تعبيره.

وقد خرج الموكب إلى ضاحية المدينة عن طريق باب المحروق الذي، كما نعرف، أخذ اسمه هذا ابتداءً من عام ستمائة عندما قام الخليفة الموحدي الناصر بالقضاء على أحد الثوار، الذي ادّعى أنه المهدي الذي ينصر الله به الإسلام، هناك وعلى أعلى الباب علّق رأس الثائر بعد أن أحرق جسده، وكان الباب يحمل اسم باب الشريعة من ذي قبل، وليس صحيحًا أن اسم المحروق أتى بسبب إحراق لسان الدين ابن الخطيب(١٧).

وقد أفضى الجمهور إلى الزاوية التي اشتهر ذكرها في الأقطار والأمصار، حيث تميّز هذا الحفل التدشيني بقصيدةٍ مدح الحسناوي فيها السلطان أبا عنان، وذكر محاسن الزاوية... ونعرف من شيوخ الحسناوي أبا العباس أحمد بن موسى البطرني... كما نذكر من تلامذته ابن الأحمر، وقد توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة.

لقد كان ابن الحاج المصدر الأساس الذي تحدث عن هذا الشاعر، وليته كان يجد من الوقت ما يسمح له بتقديم نماذجَ من إنتاج هذا الشاعر، الذي خلت من آثار شعره المصادر الأدبية التي اهتمت بشعراء فترة بني مرين على ما علمنا(١٨).

وقد انتهى هذا الحفل الكبير بتقديم طيافير الطعام الملوكية، التي أحضرت وعليها المناديل الساطعة البياض، والسباني المرقومة كأنها أزهار الرياض، على حدّ تعبير ابن الحاج، وانفضّ هذا الجمع عن مشهدٍ تهادت البلاد أخباره... واستتبت أمور الزاوية أحسن استتباب... جزى الله مولانا على ذلكم جزاء من أتبع الحسنى بأختها...

خاتمة

ذلكم ملخص المعلومات التي قدمها ابن بطوطة، وابن جزي، وابن الحاج، والمقري عن المؤسسة الحضارية الكبرى، وقد تُقت، وأنا أقوم بتحقيق رحلة ابن بطوطة، إلى أن أحقق غرضين اثنين:

أولاً : إعداد تصميم للزاوية المذكورة من خلال الوصف الذي قدمه إلينا ابن الحاج، وفي هذا الصدد قمت بالاتصال بالمسؤولين في وزارة السكنى والتعمير، وقدمت لهم النص الأدبي لابن الحاج محاولاً أن يصلوا إلى وضع تصميمٍ للمكان، ولم يكن في الاستطاعة إلا أن أكتفي بالتصميم الذي نشرتُه في المجلد الرابع من تحقيقي للرحلة.

ثانيًا : كنت أتوقُ مع هذا إلى تتبّع منعرجات وادي الجوهر خطوةً خطوة بحثًا عن طللٍ أو أثر، فلقد كنت مقتنعًا بأن ذلك الصرح الحضاري الكبير لا يمكن - بعدما عرفنا عنه - أن لا يخلف لَبِنَةً أو حجرًا!

وقد شجعني على هذا الأمل ما وقفت عليه في أثناء تحرياتي الأولى من خلال بعض الخرائط، التي وضعتها المصالح الفرنسية لفاس في أثناء العشرينات، حيث وقفت في يسار الخريطة على «شبه تصميم» كتب

بإزائه «دار الضيافة»، وكان غير بعيدٍ عن ضفاف وادي فاس.

وقد قمت بالرحلة إلى فاس للوقوف بنفسي على عين المكان، وظللت أتردد على هذه البقاع كلما سنحت الفرصة لزيارة المدينة أملاً في العثور على عنصرٍ من العناصر يساعدني. وقد أخذت أشعر أخيرًا بأنني أقترب من الوصول إلى الهدف عندما وقفت على بعض الآثار التي كانت غريبةً عن هذه المروج الفسيحة، التي تقع على مقربةٍ من وادي فاس، وهنا قررت الاتصال بالجهات التي يهمها بالدرجة الأولى أمر التراث الوطني، وكان لي ما أردت - والشكر لله - حيث تمت جلساتُ عملٍ جدّ مفيدة مع السيد وزير الشؤون الثقافية صباح الجمعة ١٩/ ٦/ ١٩٩٨، ومع ولاية فاس، ووكالة إنقاذ المدينة. المهم أن نعرف أن دراسةً جادة تتابع اليوم تمهيدًا لإعادة الحياة إلى هذه المعلمة التاريخية الكبرى...

•••

الحواشي

١ - روضة النسرين في دولة بني مرين.

٢ - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: ٤/٣٤٧، تعليق ١١٥.

٣ - الإتحاف الوجيز.

٤ - المتوكلية نسبةً إلى لقب أبي عنان (المتوكل على الله). انظر: روضة النسرين في دولة بني مرين...

٥ - (352 - AV - 84,1).

٦ - شرع أبو عنان في بناء المدرسة المتوكلية داخل المدينة يوم الاثنين ٢٨ رمضان ٧٥١هـ = نوفمبر ١٣٥٠م، ولم تتم إلا في أواخر شعبان ٧٥٦هـ = سبتمبر ١٣٥٥م على ما جاء في رخامة تحبيسها، بينما شيّدت الزاوية المتوكلية عام ٧٥٤هـ = ١٣٥٣ - ٥٤ كما سجّل في شعر ابن جزي. نفح الطيب: ٥/ ٥٣٢، وأزهار الرياض: ٣/ ١٩٦ - ١٩٧، والاستقصا للناصري: ٣/ ٢٠٦، وجامع القرويين: ١١/ ٢٦٩، التعليق ٢٧.

٧ - وصف إفريقيا ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر: ١١٠ - ٢٠٩ - ٢٢٨.

التاريخ الدبلوماسي للمغرب: ٧/ ١٥.

٨ - أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثالث.

٩ - تحدث عن هذا الزلزال محمد بن الطيب القادري في النصف الثاني من كتابه نشر المثاني: ٢٦٦ عند الكلام عن العام التاسع من العشرة السابعة وابن زيدان: الاتحاف: ٤/ ٤٦٤. و:

le tremblement de terre de 1755 d'après des Temoignages d'Epoque, Hesp. P.89.

و Description de l'eselavage :Barbaresque dans l'Empire de Fes et au Maroc, P.30.

والتاريخ الدبلوماسي للمغرب: ٩/ ٢٥٤-٢٥٥.

١٠ - تحت رقم ٣٢٦٧ من ورقة ٦٧ إلى ٧٨.

١١ - كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ٣/ ٢٠٠-٢٠١.

١٢ - يعني بالمصارة منشأة أخرى لبني مرين تبعد قليلاً عن الزاوية المتوكلية، كانت مخصصة لترويض الخيول، وتقع شمال المدينة البيضاء حيث تقع اليوم مقبرة سيدي عمارة، وكانت تحتوي على ثلاث نواعير كما يقول ابن الحاج في فيض العباب عند حديثه عن هذه المنشأة...

١٣ - هناك طرة في بداية النص المخطوط تذكر أن الزاوية تحمل أيضًا اسم (دار الضيفان).

١٤ - لم يكن هذا النموذج كالشيخ ابن عاشر، الذي لم يأذن للسلطان أبي عنان في الاجتماع به بسلا، ولله در القائل:

فقل لملوك الأرض تجهد جَهدها

فذا الملك ملكٌ لا يباع ولا يُهدى!

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ٣/ ٢٠٠.

١٥ - أوقاف المغاربة في القدس: ٢٢-٢٣، والتاريخ الدبلوماسي: ٧/ ٢١٨، والقدس والخليل في الرحلات المغربية.

١٦ - يعدّ الشيخ يوسف بن عمر من أكبر رجالات جامع القرويين الذين تركوا لهم صدىً في التاريخ الفكري للمغرب ولفاس على الخصوص، ومن الطريف أن نعرف أن السلطان بعث له في أول خطبة خطبها كسوة سنية... وقال له الرسول: إن السلطان قصد إلى أن يمتاز أهل الخطط من غيرهم، وليعلم الناس بتقديمه لك»، توفي يوم ١٣ شعبان ٧٦١هـ - زهرة الآس للجزناني: ٥٣، ١١٧ ترجمة فرنسية: ٣/ ١٥٥، وتاريخ القرويين: ٢/ ٤٣٨-٤٩٤.

اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس

١٧ – سلوة الأنفاس: ٣/٢٠٧.

١٨ – نيل الابتهاج: ٤٧ نقلاً عن الشيخ إسماعيل بن الأحمر في فهرسته، درة الحجال: ١/ ١٨٣، وسلوة الأنفاس: ٣/ ٢٥٤، وأعلام المغرب العربي: ١/ ١٣٥.

وفيض العباب وإفاضة قراد الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والفرات: ٢٠٦–٢١٨.

المصادر والمراجع

ابن الأحمر : إسماعيل.

– روضة النسرين في دولة بني مرين، تح. عبد الوهاب بن منصور، ط٢. المطبعة الملكية، الرباط، ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

ابن بطوطة.

– تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، تح. عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

التازي : عبد الهادي.

– أوقاف المغاربة في القدس، مطبعة فضالة المحمدية، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

– التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطابع فضالة، المحمدية، ١٩٨٦م.

– القدس والخليل في الرحلات المغربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

الجزنائي.

– زهرة الآس، طبعة الجزائر، ١٩٢٣م.

الدكالي : ابن علي.

– الإتحاف الوجيز، تح. مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة الصبيحية، سلا – المغرب، ١٤٦٦هـ = ١٩٨٦م.

الفاسي : الحسن بن محمد الوزان.

– وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط٢. دار الغرب الإسلامي، بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٣م.

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني.

– أزهار الرياض في أخبار عياض، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٨م.

الناصري.

– كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥م.

النميري : ابن الحاج.

فيض العباب وإفاضة قراد الأداب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.

- Magali Morwy: le tremblement de terre de 1755 d'aprés des Temoignages d'Epoque, Hesp 1975.

Marcus Bery:

Description de l'esclavage Barbaresque dans l'Empire de Fes et au Maroc.